به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

آ. العلامة السيد علي فضل الله
من علماء الدين في لبنان

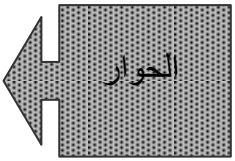

المطلوب التخطيط جيّداً للمرحلة المقبلة

ولد سماحة العلامة السيدعلي فضل الله في النجف الاشرف عام 1959م. في بيت العلم والتقوى و هو ابن المرجع الراحل السيد محمد حسين فضل الله (رحمه الله) يحمل اجازة في الدراسات الحوزوية و الاعلام و الحقوق وله دراسات عديدة في المجالات المذكورة و يتصدى لرئاسة جمعية المبرات الخيرية وجمعية اسرة التآخي ، ومجلس امناء مؤسسات سماحة المرجع الراحل السيدمحمد حسين فضل الله (رض) وعضو مجلس امناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين وعضو المجلس المركزي لتجمع العلماء المسلمين و عضو المجلس الأعلى بالمجمع العالمي لاهل البيت والمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية.

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

□تمرّ على حركة التّقريب المعاصرة حوالي سبعة عقود، وقد قام علماء كبار بدور هامّ في مجال التّقريب والوحدة. هل استطاع، في رأيكم، هؤلاء العظام أن يحقّقوا أمانيهم وأهدافهم الّتي رسموها في بداية مسيرة عملهم؟

■ عندما انطلقت فكرة التَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة، الّتي كانت بداياتها من خلال مجموعة من العلماء الكبار في مصر، منهم المرحوم الشَّيخ محمد تقي القمّي، الّذي كان ينال تأييد المرحوم آية الله السيِّد البروجردي في هذا المجال، وكان إلى جانبه الشّيخ عبد المجيد سليم والشَّيخ محمود شلتوت والكثير من العلماء الكبار، وقد شاركهم في ذلك المرحوم الشَّيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، انطلقت لمعالجة الأفكار الخاطئة الّتي يحملها السنّة عن الشّيعة، أو الّتي يحملها الشّيعة عن السنّة، فكانت رسالة التّقريب من أجل تعريف السنّة بما عند الشّيعة، وتعريف الشّيعة بما عند السنّة.

ولعلّنا إذا قرأنا "رسالة الإسلام" الّتي أصدرها دار التَّقريب آنذاك، نعرف أهميَّة الأبحاث الّتي كتبها علماء المسلمين السنّة

به فایل WORD این مقاله به سایت DaneshResan.com مراجعه نمایید و عنوان مقاله را جستج
بیش از ۲ میلیون مقاله فارسی در این سایت موجود میباشد

والشّيعة في ذلك الوقت، والتي نحن بحاجة إلى قراءتها اليوم، لأنّها أبحاث علميّة معمَّقة، يتحدَّث فيها كلّ علماء السنّة والشّيعة بطريقة علميّة موضوعيّة.

وقد جاءت السياسة في مصر لتغلق دار التّقريب، لتقوم الجمهوريَّة الإسلاميَّة بعد ذلك بمبادرة طيّبة بإعادة فتح دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ونحن نعتقد أنّها قامت بدور كبير نحتاجه في واقعنا الإسلاميّ.

وربما كان لهذه الحركة التّقريبيّة دور كبير في توضيح وجهات النّظر وتقريب عناصرها الفكريَّة، ما أبعد التصوّرات التّكفيريَّة عن دائرة المواقع الإسلاميَّة المتقدّمة، ولكنَّ الظّروف الطّارئة، ولا سيَّما السياسيَّة، وحركة التخلّف، منعت هذا الامتداد في العالم الإسلاميّ الّذي واجه الهجمة الاستكباريَّة المتحالفة مع القوى الكافرة التي ما زالت تكيد للإسلام والمسلمين.

□ **لقد بات واضحاً أهميَّة الوحدة الإسلاميَّة من أجل الوصول إلى تأسيس حضارة إسلاميَّة معاصرة، ومن الطّبيعيّ أن تواجه مسيرة التَّقريب بين المذاهب الإسلاميَّة تحدّيات تعرقل أو توقف حركتها وتقدّمها. ما هي أهمّ هذه التحدّيات؟ وأين الحلول لتخطّي الموانع؟**

■ نعتقد أنّ هناك نوعين من المشاكل

والأخطار الّتي تهدِّد التَّقريب بين المذاهب:

النَّوع الأوَّل: هو الّذي نعانيه داخل مجتمعنا الإسلاميّ، أي الفرقة التي تأسَّست في أغلب عناصرها على قاعدة سياسيَّة، وتكرَّست بفعل أيدينا، وجرى التّنظير لها عقيدياً ومذهبياً، حتّى تعمَّقت في وجدان المسلمين.

والنّوع الثّاني: هو ما يفرضه علينا الاستعمار والاستكبار من واقع حال مزر لن نفلح في ردعه إلا إذا حقَّقنا التَّقارب المنشود بين مذاهبنا المختلفة، وصولاً إلى وحدة ما تشكِّل صمّام أمان داخليّ للمسلمين فيما بينهم وأمام الخارج المستكبر.

ولتحقيق ذلك، لا بدَّ من تحديد جملة أولويّات يتَّصل بعضها بعقائد المسلمين والآخر بأوضاعهم السياسيَّة. فعلى المستوى العقائديّ، يفترض الالتفات إلى الأمور الآتية:

ـ التَّركيز على المنهج القرآنيّ العقلائيّ الحواريّ الّذي يؤكِّد احترام الآخر الّذي قد يلتقي معنا في فكر مشترك، والدَّعوة إلى مواقع اللّقاء بيننا وبين الآخر، ليس المسلم فحسب، بل أيّ إنسان يمكن أن يكون بيننا وبينه قواسم مشتركة في المبادئ والقيم، حيث تلتقي الأديان على الإنسانيّة عامّةً.

إنّنا نعتقد أنّ هذا المنهج الحواريّ هو

الّذي يؤكّد الانفتاح الإنسانيّ في الواقع الإسلاميّ، الذي يؤسّس لروحيّة اللّقاء على الأرض المشتركة، الأمر الّذي قد يخلق مناخاً تصالحيّاً يقرب بين المشاعر، ويؤسّس لذهنيّة الوحدة.

ـ لا بدَّ من التّعاطي مع الإسلام باعتباره أولويّةً، واعتبار الشّهادتين حصن المسلم ودرعه، إلى أيٍّ مذهب انتمى، ويترتّب على ذلك ما يترتّب للمسلم من حرمة لماله وعرضه ودمه، وما إلى ذلك...

ـ لا بدّ من إلغاء مفردة تكفير المسلمين بعضهم لبعض من قاموس العلاقة بينهم، واعتبار التّفاصيل غير ضارّة بالمبدأ العام للإسلام القائم على الشّهادتين...

ـ اعتبار المذاهب الإسلاميَّة تنوّعاً في دائرة الوحدة، أي هي اجتهادات في الإطار الكلّيّ للإسلام، ولا يجوز تسفيه أيٍّ مذهب لمجرَّد اختلافه عن المذاهب الأخرى، أو وضعه في خانة الأعداء لمجرَّد أنّه لا يقول بخصوصيّات هي بمثابة قناعات لمذهب آخر.. ولذلك، لا بدَّ للقائمين على شؤون الفكر الإسلاميّ والدَّعوة الإسلاميَّة، من أن يقوموا بتثبيت المنهج الحواريّ في الأمَّة، الّذي يمتدّ في إيجابيَّاته إلى كلِّ نواحي الحياة العامَّة في السَّاحة

الإسلاميَّة.

ـ تعزيز روح السّلام والحريَّة والمحبَّة بين أتباع المذاهب المختلفة، وهذه مهمَّة حضاريَّة يجب أن يُناط بعلماء الأمَّة ومثقَّفيها أمر القيام بها من موقع الحبّ والالتزام والمسؤوليَّة.

ـ الوقوف في شكل حاسم وجازم في وجه المتعصّبين والمتطرّفين من أتباع المذاهب المتنوّعة، واللّجوء إلى المقاطعة الإيجابيّة في حقّهم، حتَّى يفيئوا إلى أمر الله، لأنَّ بعض المشكلة، هي أنّنا قد نطرح النّظريّة في المؤتمرات العامَّة، ولكنَّنا نطرح العصبيَّة الانفعاليَّة في التوجّهات العامَّة.. ونمنع في بعض الحالات المسلمين المختلفين في مذاهبهم واجتهاداتهم من الاطّلاع على آراء الفرق الأخرى، بادّعاء أنّها كتب ضلال وما أشبه ذلك...

□ العلماء في كلّ ديانة سماويّة لهم دور كبير في توعية الأمّة، والأمر هو كذلك في الأمّة الإسلاميّة. أين هو موقع العلماء في المسيرة التقريبيَّة؟ وهل صحيح ما يقال أنّ الفرقة هي أيضاً صناعة العلماء؟ وأرجو أن نسمع من سماحتكم عن أهمّ الأدوار التي قام بها المرجع الرّاحل، السيّد محمد حسين فضل الله (رض)[1]، في مجال تنشيط الحركة التقريبيّة

المعاصرة؟

■ لقد كان لسماحة العلامة المرجع، السيّد محمد حسين فضل الله، محاولات مستديمة لإنعاش روح الإسلام في نفوس المسلمين، لأنَّ هذه الرّوح المتَّقدة ستتكفَّل بإيقاظ عقولهم وأجسادهم، وتعيّن وجهتها صوب الأيادي الممسكة بخناق الأمَّة ومصيرها، لتتكفّل بقطع تلك الأيادي التي تلاعبت بماضيها وعبثت بحاضرها، واستبقت بالتّشويه صورة مستقبلها.

وسماحة المرجع السيّد فضل الله (رض)، يرى أنَّ الوحدة الإسلاميّة، ولو بحدودها السياسيّة، شرط ضروريّ ولازم لعودة المسلمين إلى ما كانوا عليه من قوّة ومنعة ومكانة، كأمّة موحّدة، وكقوّة موحّدة في مواجهة الكفر والاستكبار العالميّ، وهو في هذا السّعي، لم ييأس ولم يكلّ من تكثيف النّشاط الفكريّ والعمليّ في سبيل تحقيق الأهداف الكبرى للوحدة الإسلاميّة، فقدَّم العديد من الكتابات والمقابلات والخطب المميّزة التي أغنت تراث الفكر الوحدويّ ومخزونه، وأسّست ما يشبه القواعد والمداميك الأساسيّة لإنجاز مشروع الوحدة الإسلاميّة العالميّة.

نقول هذا، ونلفت النَّظر إلى أنَّ هذه المسألة جعلت من سماحته عرضةً لسهام المغرضين من كِلا الطَّرفين، الّذين ما فتئوا

يصرّون على خنق هذا المشروع في مهده، بنبش خلافاتهم وتعويمها، ووضعها معوّقات وعقبات كأداء أمام بنيان الوحدة المنشود، وهم بذلك ينساقون، عن وعي وعن غير وعي ـ حتَّى لا نقول عن جهل ـ إلى منزلقات المشروع الاستكباريّ الحاقد، والّذي يعمل على تجذير الخلافات بين قطاعات الأمَّة ومذاهبها، لإبقائها على وضعها، وليبقى مسيطراً على مقدّراتها ومستبدّاً بمصيرها.

لقد قدَّم سماحته خلال سني حياته مشروعاً كاملاً للوحدة الإسلاميَّة، الّتي سعى من خلالها إلى تظهير الخطوط العامَّة لهذا المشروع، عارضاً بالشَّرح والتَّحليل لأهمّ مستلزماته، ومبيِّناً لأوجه قوَّته وضعفه. وقد كشف سماحته في تصوّره الوحدويّ، المعوّقات الذّاتيّة والموضوعيّة الدّاخليّة والخارجيّة، آملاً أن تبادر قطاعات الأمَّة الواعية إلى تحقيق سبل الوحدة المأمولة، بعيداً عن كلِّ الهواجس والتوجّسات الموهومة الّتي لا طائل من إبرازها أو التذرّع بها، فبهذا النَّوع من العمل الدّؤوب للمخلصين لأمر هذه الأمَّة، يمكن ردّ المخرز إلى عين المستكبر الّذي يسعى من خلاله إلى فقء عيون المسلمين، ليعميهم عن مكامن قوّتهم ووحدتهم وعزّتهم.

ومن المفيد ذكره، أنَّ سماحته ركَّز دائماً، وفي كلِّ المؤتمرات والنَّدوات والمجالس الّتي عقدت لهدف التَّقريب والوحدة، على الحوار كقيمة أساسيَّة وآليّة فاعلة لا بدَّ من اعتمادها وسيلة تواصل وتلاق بين أطراف العلاقة الإسلاميَّة ـ الإسلاميّة، فبالحوار يستطيع أن يفهم أحدنا الآخر ويتفهّم بعضنا بعضاً، وبدون الحوار لن نستطيع الوصول إلى أيّ نتيجة إيجابيّة، ولا نستطيع أن نتخطّى واقع الانقسام الحاصل بين التيّارات الإسلاميّة المختلفة..

لذلك، نجد سماحته قد انطلق من الآيات القرآنيّة المحفّزة على الحوار والأحاديث الّتي تفيد هذا المعنى، وأيضاً اتّخذ من أئمّة المسلمين وطريقة عملهم وتفكيرهم نموذجاً يُحتذى في استشراف نظام العمل الآيل إلى تحقيق مشروع الوحدة.

أيضاً، استعرض سماحته أهمَّ المحاور الخلافيَّة، سواء ما له علاقة بعلم الكلام أو التَّفسير أو الفقه، إضافةً إلى المسائل الخلافيَّة الأساسيَّة، كموضوع الإمامة والخلافة، مبيِّناً عوامل انقسام المسلمين والمعالجات القاصرة في حلّها، محدِّداً وجهات النّظر المتعدّدة حول مسألة الوحدة، ومقدّماً أفكاراً

عمليّةً لمشروع توحيد الأمّة على أساس القواسم المشتركة بدايةً، وبشكل لا يجعل من خلافاتها سبباً لتمزّقها وضعفها، مقترحاً بشكل أساسيّ أن يكون القرآن أساس هذه الوحدة المأمولة والمرجوَّة، كما أكّد ضرورة أن يقوم العلماء بالدّور الوحدويّ المأمول منهم، بدل أن يكونوا هم من يحرّض على الانقسام والفرقة بحجج تضرُّ بالدِّين وبالإجماع الإسلاميّ وبالتَّقريب بين المسلمين أكثر مما تقرّبهم إلى بعضهم البعض..

إنّ سماحة السيّد يحمِّل العلماء والمثقّفين هذه المسؤوليّة الّتي يجب أن يقوموا بها دون يأس، وأن يعملوا دون كلل على إنجاز مشروع الوحدة الإسلاميّة مهما اعترضنا من معوّقات، لأنّ فشل تجربة لا يعني فشل الفكرة، بل علينا أن نجرّب حتّى نجاح التّجربة، لأنّنا محكومون بهذا الخيار الّذي لا بديل عنه..

الثّورات العربيَّة

□ ما نشاهده اليوم في العالم العربيّ، يُنبئ بمستقبل مختلف عمّا هو عليه الآن. هناك من يرى أنَّ الانتفاضات العربيَّة هي سحابة عابرة، وسوف يرجع العالم العربيّ إلى ما كان عليه، لأنَّ تأسيسها لم يتمّ عن وعي ودراسة، بل جاء عقب هزّة عاطفيّة ذات عيار

ثقيل، والآخر يرى أنّها حصيلة تراكمات ثقافيّة واحتباس غضب يحمل تاريخ عقود من الزَّمن، وهناك من يعتبرها نتيجة صحوة إسلاميّة ناضجة، وإن أجّجتها وأشعلت نارها بعض العواطف. أين هو الصّواب يا صاحب السماحة، وهل هذه الثّورات تؤسّس حقيقةً لمستقبل مشرق؟

■ من المبكر إعطاء تصوّر نهائيّ عن مآل الثّورات العربيّة وإلى أين تتّجه في نهاية المطاف، لكنّ الأكيد أنّ ما يحصل هو حراك نوعيّ ومهمّ جدّاً، قياساً إلى ما رسا عليه حال الأمّة العربيّة من ركود سياسيّ استمرّ لعقود من السنين، فما يجري هو تعبير عن توق حقيقي إلى الحريّة والتحرّر من قيود الأنظمة التي ربضت طويلاً فوق صدور شعوب هذه الأمّة، وصادرت حركتها وحريتها وخياراتها، ورهنت مصيرها ومستقبلها لحساب زعاماتها وسياساتها، التي أضرّت بشكل بالغ بمكانة ودور هذه الدّول وشعوبها، وجعلتها جسداً ميتاً، وفي أحسن الأحوال مستتبعاً لإرادتها، التي هادنت الاستكبار، بل كانت مستجيبةً بنحو كبير لرغباته ومصالحه وسياساته، وسكتت عن إسرائيل وعدوانيّتها على شعوب الأمة، وامتهان كرامتها، بل هناك من هذه

الأنظمة من تآمر فعلاً على القضيّة الفلسطينيّة، وكان بمثابة "الكنز"، كما تعبّر إسرائيل عن خسرانها لحليفها القويّ في المنطقة، الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك.

وهنا لا بدّ من أن نسجّل أنّ ما يحصل هو حصيلة سنوات من القهر، سواء للقوى الإسلاميّة أو المدنيّة، وأنّ الانتفاض على واقع القهر جاء في لحظة وصول هذا الاحتقان إلى ذروته، بحيث تحوّل اليأس من واقع هذه الشّعوب المسلوبة الإرادة والكرامة، إلى حالة ثورة استرخصت الموت في سبيل نيل ما حلمت به، ومنعت من تحقيقه بحجج ثبت بطلانها جميعاً..

وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدل على مستوى الوعي الّذي بلغته قطاعات الأمّة العربيّة، وخصوصاً الشباب منهم، ومستوى الاستعداد للتحدي والتضحية، كما بدا ذلك واضحاً من خلال المواجهات التي تمت مع أجهزة هذه الأنظمة القمعيّة، والتي سقط جرّاءها شهداء بالمئات..

وهنا لا بدّ من الإلفات إلى أنّ الاستكبار العالمي، ولا سيّما الأمريكيّ منه، يسعى جاهداً لإجهاض هذه الثّورات من خلال دعمه للثّورات المضادّة، والالتفاف على إنجاز هذه الثّورات

من طريق ركوبه لموجتها، والادّعاء بأنّه صاحب الشّعارات التي رفعها الثوّار المطالبون بالحريّة والدّيمقراطيّة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يعيد نبش أسماء شخصيّات يمكن أن تكون أحصنة طروادة له في المرحلة المقبلة، بهدف أن تتولّى هذه الشخصيّات حكومات البلاد الثّائرة، وإعادة ترتيب أمور هذه الدول معها، بما يحفظ مصالح الاستكبار على حساب مطالب الشعوب، ولسرقة إنجازاتها إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

□ يعرف صاحب السماحة جيّداً، أنّ القوّى الكبرى لها مطامع ومصالح خاصّة في منطقتنا العربيّة والإسلاميّة، ولا يمكن لها التخلّي عنها، وقد تستخدم هذه القوى كلّ العناصر المساعدة على توقّف الثّورات المعاصرة أو انحرافها في كافّة المجالات الثقافيّة والاقتصاديّة والعسكريّة والأمنيّة... ما هو دور الأمّة لمواجهة المؤامرات؟ وأين هو موقع العلماء والنّخب الفكريّة في مواجهة الهجمة الشّاملة ضدّ العالم الإسلاميّ؟

■ إنَّ على قادة الثّورات العربيّة وعلمائها، وخصوصاً علماء الدّين، مسؤوليّة كبرى في حماية إنجازات هذه الثّورات، عن طريق توعية الشّعوب على أهداف الاستكبار

وألاعيبه، وأن تقوم هذه القيادات بتحصين السّاحات السياسيّة والثقافيّة والتربويّة والاقتصاديّة، حتى لا يتسلّل إليها المتسلّلون من زرعهم الاستكبار والدّول الكبرى بين شعوبنا..

إنَّ الوعي بمصالح هذه الشّعوب، وتوعية الأمّة على هذه المصالح، لا بدَّ من أن يكون من خلال تخطيط علميّ واقعيّ موضوعيّ يقلّل من الشّعارات وعموميّتها وينطلق إلى التّفاصيل، هذه التّفاصيل التي تستطيع الأمّة أن تتعامل مع مفرداتها بشكل مباشر، سواء ما يتعلّق بفضح سياسات النّهب التي تمارسها الدّول الكبرى لثروات الأمّة، أو بحرف مسار استهدافها للعدوّ الصهيونيّ، أو لجهة البرامج التربوية والثقافية التي تصنع عقول الأمة وسلوكها ومعتقداتها..

المطلوب التّخطيط جيّداً للمرحلة المقبلة، كي لا يكون النصر حالة طفر يعود بعدها الاستكبار للإمساك بزمام الأمور.. لا بدّ من العمل الجدّيّ على قطع دابر سياسات الدّول الكبرى من بلادنا، والعودة إلى بناء العلاقات بينها وبين هذه الدّول على أساس مصالح الشّعوب، وليس مصالح الاستكبار.. وهذا يحتاج إلى تضافر جهود الأمّة وقياداتها،

وربما تقديم تضحيات جديدة، أملاً بإرساء نمط جديد من الحياة في العالم العربي والإسلامي نضمن من خلاله دوام الحرية والسيادة للشعوب، وتطوير إمكاناتها، وكفّ يد الدول الكبرى عن إمكاناتها ومصائرها..

□ البعض يدعو إلى إيجاد منظومات إسلامية وعربية "ثقافية ـ عسكرية ـ اقتصادية ـ سوق مشتركة..."، وإلى تأسيس اتحاد دولي إسلامي مكملاً لمنظمة المؤتمر الإسلامي والاتحادات الموجودة على الساحة.. مع وجود الأنظمة الحاكمة في منطقتنا، هل ترى سماحتكم أنّ هذه الأمنية قابلة للتحقق؟

■ إن تجارب المنظمات الإسلامية والعربية، القومية والإسلامية، لا يشجّع على الاستمرار في هذا النوع من العمل العربي أو الإسلامي المشترك، إننا بحاجة إلى وضع سياسات قومية وإسلامية شفافة وصادقة، وأن تكون هذه المنظومات شعبية بالدرجة الأولى، وأن تكون المنظمات الرسمية تحاكي هذه المنظمات الشعبية، وأن يكون العمل المشترك شفافاً وصادقاً، وليس صورياً واستعراضياً ومجانياً، كما هو حال جامعة الدول العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي...

نحتاج فعلاً إلى تضامن عربي ـ عربي،

وتضامن إسلامي ـ إسلامي، وعربي ـ إسلامي، لكن بصيغ جديدة، يجب أن تنشأ منظمات بديلة للمنظمات المترهلة الموجودة حالياً، قوامها مصالح الأمّة العربيّة والإسلاميّة، وأن تكون ذات صدقيّة عالية، وإلا سوف تعيد المنظمات الحالية إجهاض محاولات النهوض العربي والإسلامي المشترك، وتحويله إلى ديكور جديد، بعد أن بهت وجه الديكور القديم لهذه المنظمات العاجزة والمترهّلة.

الحوار الإسلامي المسيحي

□ حاول الكثيرون اختراع صراع بين حضارتين كبيرتين (الإسلامية والمسيحية)، وكتب وألّف من أجل ترسيخ هذه الفكرة، وقد ساعدته بعض الظّروف، كوجود الديكتاتوريات في العالم الإسلاميّ، والرّوح التوسعيّة في الغرب السياسي، وسكوت علماء الديانتين "المسيحية والإسلامية" عن بعض التجاوزات الدينية والمذهبية. ما هي حقيقة الأمر، وكيف تنظرون إلى العيش المشترك الإسلامي والمسيحي، وخصوصاً في الشّرق الإسلامي والغرب المسيحي؟

■ إنّ مشكلة العالم الإسلامي مع الغرب ليست مشكلةً دينيّة، بل هي مشكلة سياسيّة، فحوار

الأديان مطلوب دائماً لأجل تقريب المسافات بين الشّعوب التي تشكّل بمجموعها الدائرة الإنسانيّة الواسعة.. لكنّ المشكلة هي في مصادرة السياسات الغربيّة لدور الأديان، وإلحاق الدّين بالسياسة، عن طريق جعله تابعاً فاقداً للاستقلاليّة، وبالتالي فاقداً للفاعلية..

هذا الأمر لا يقتصر على الغرب وحده، فالأنظمة السياسية العربية والإسلامية صادرت الأديان وجعلتها تابعةً أيضاً، وبالتالي ألغت فاعلية تأثير الإسلام في الآخر، بعد أن أعطت انطباعات سيّئة عن الإسلام، من خلال ادّعائها بأنّها أنظمة إسلاميّة أو تحكم باسم الإسلام.. المطلوب لأجل حصول حوار أديان حقيقيّ، هو تحرير الأديان من أسر سياسات الدول، سواء المسيحيّة منها أو الإسلاميّة، وإذا ما تحرّرت الأديان من أسر الأنظمة، فسوف لن يكون هناك خلاف جوهريّ بين أتباع الأديان، والآيات القرآنيّة التي تتحدث عن أصول الأديان والوحدة وعما يجمع أتباع الديانات السماوية كثيرة، لكنّ الموضوع يحتاج إلى إرادة علماء الأديان وشجاعة هؤلاء في كفّ يد السياسة عن العبث بقيم الأديان وعقائدها ومآلاتها، وهذا يحتاج إلى نيّة صادقة من

علماء الأديان، وشجاعة فائقة على منع الساسة من التحدّث باسمها، وهذه مسؤوليّة كبرى لا بدّ من أن يتحمّلها أصحاب الشأن في هذا المجال.

□ هناك خلافات تظهر على الساحة، تارةً دينية، كما هو الحال بين الأقباط والمسلمين في مصر، وأخرى طائفية، كما حصل في العراق وبعض الدول الإسلامية. أين الخلل؛ هل في طريقة الأداء، أم في التبليغ، أم هناك عناصر داخليّة أو خارجيّة مؤثّرة تسعى دائماً لاختلاق هذه الخلافات وإشعالها؟

■ إنّ ما يحصل من صراعات دينيّة ومذهبيّة، سواء في مصر أو العراق أو دول عربيّة وإسلاميّة أخرى، هو بالدّرجة الأولى نتيجةً لتنفيذ سياسات ومخطّطات استكباريّة تهدف إلى تمزيق وحدة الشّعوب العربيّة والإسلاميّة، بهدف إضعافها وإلهائها عن رؤية المصالح القوميّة والإسلاميّة الكبرى، وإنّنا نعتبر هذه الصّراعات جزءاً لا يتجزأ من سياسات الدول الكبرى التي وجدت في وحدة الأمة تاريخياً خطراً كبيراً عليها، ولا زالت تستشعر هذا الخطر عند أيّ محاولة لتوحيد هذه الأمّة أو لجمع طاقاتها وإمكاناتها في مشروعات وطنية وعربية وإسلامية واحدة أو مشتركة..

إنّ الشعوب والأديان والمذاهب عاشت طويلاً في العالم الإسلاميّ إلى جانب بعضها البعض، ولم نر مثل هذا الانقسام يحصل بهذا الشكل المروّع في عدد من الدول العربيّة والإسلاميّة في تاريخنا الإسلاميّ...

لكنَّ هناك نوعين من العوامل المساعدة التي تسهِّل تنفيذ مثل هذا النَّوع من المخطَّطات الدّوليَّة الاستكباريَّة من قبل الأنظمة التي تسعى إلى زرع الشّقاق بين أبناء الوطن الواحد والأمّة الواحدة، كي تجد لها الحجّة في استخدام العنف لإبقاء التحكّم والسّيطرة على البلاد، ولإظهار الشّعوب بمظهر القاصر وغير القادرة على فهم دينها ومصالحها..

والعامل الآخر هو نزعات الغلوّ والتّكفير التي تشكّل أرضيّةً خصبةً تشجّع هذا النّوع من السياسات، جرّاء التّصنيف الدّينيّ والمذهبيّ لأبناء الوطن والأمّة الواحدة...

المطلوب، خصوصاً بعد انعتاق هذه الشعوب من أسر الأنظمة، أن تستكمل عملية الانعتاق برفض كلّ أنواع الغلوّ والتّكفير، وهذان الشرطان هما المقدّمة الموضوعيّة والطبيعيّة للخروج من الصّراعات الدينيّة والمذهبيّة، وهذا يتمّ من خلال تصدّي الواعين من علماء

ومثقّفين يمتلكون القدرة على العمل والتّأثير في الاجتماع العربيّ والإسلاميّ، ومن خلال حوارات صادقة وشفّافة بين أتباع الأديان الإسلاميّة والمسيحيّة والمذاهب الإسلاميّة فيما بينها..

وإذا استطاع هؤلاء أن يتجرّدوا من أهواء السياسة والمصلحة والتعصّب، فبالتّأكيد سوف نصل إلى نتائج مهمّة جدّاً، ستسهم بلا شكّ في إرساء علاقات طبيعيّة، بل حميمية بين أتباع الأديان السماويّة وأتباع المذاهب، وهذا ما سيشكّل داعماً أساسيّاً ومهمّاً في إغناء تجربة الاستقلال الجديد لهذه الدّول، وسيكون مانعاً أكيداً من إطلاق أيادي الدّول الكبرى التي تسعى إلى العبث بوحدة شعوبنا، إلى أيّ دين انتموا أو إلى أي مذهب انتسبوا...

□ المهدوية فكرة وحقيقة تؤمن بها كلّ الأديان والمذاهب، ولكن كلٌّ على طريقته الخاصّة، واستناداً إلى تراثه الديني والمذهبي. هل بإمكاننا أن نجعل فكرة المهدوية تمهيداً لإقامة مجتمع صالح يقوم على العدل والإنصاف والقيم الإنسانية.؟

■ فكرة المهدويّة في الإسلام أو فكرة المخلّص في الديانات الأخرى، هي فكرة محوريّة في نظرة الأديان إلى الكمال الاجتماعي

والإنساني، وتطلع مثاليّ إلى نوع الأنظمة العادلة التي تطمح إليها هذه الأديان، وهي في العمق تعبير وفعل إيمان بأنّ هذه الأديان سوف تستكمل نموذجها الحضاري الإلهي في نهاية المطاف، وسوف ترسي قيمها العادلة بين البشر، وتعيد نصاب الحياة الإنسانيّة إلى ما أراده الله لها من خير ومحبّة وسعادة في الدّنيا قبل الآخرة، وهو إيمان بالوعد الإلهيّ بأنّ الأرض سوف يرثها عباد الله الصّالحون، مهما تمادى فيها المفسدون خراباً ودماراً، وأنّ المهديّ في الأديان، والإسلام بشكل خاصّ، هو من سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً...

بالتّأكيد، إنّنا نؤمن بأنّه يمكن أن نقدّم هذه الفكرة بطريقة موضوعيّة وواقعيّة، بحيث نربط الأمر بالنّهايات السّعيدة للبشريّة، وهو أمرٌ تتطلّع إليه الأديان السماوية والمذاهب الوضعيّة على حدّ سواء، فليس هناك من بني البشر من لا يرغب أن يتمنّى أو يأمل بأن يسود العدل حدود الأرض وأن يعمّ السّلام الكون، وبالتالي، فإنّ غاية فكرة المهدويّة هي تحقيق هذا النوع من الأمن البشريّ والرقيّ

الإنساني والتألّق الحضاريّ، وهذا ما ينشده البشر وما يشكّل نقطة القوّة في فكرة المهدويّة بشكل أساسي..

شكراً لكم يا صاحب السماحة على اتاحة الفرصة للاستشارة بافكاركم وارائكم رفداً للثقافة الاسلامية و تلبية لرغبة اجيالنا.

الهوامش:

1- لمحة موجزة من حياة المرجع الديني
آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله (رض)

ولادته ونشأته

ولد المرجع الرّاحل، سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله(رض) في النّجف الأشرف سنة **1354** هجرية، والموافقة لسنة **1935** ميلادية. ابتدأ بطلب العلم الديني في سنّ مبكرة جداً، حيث كان يبلغ من العمر آنذاك التاسعة؛ وكان يتحسّس من نفسه أنّه لن يكون عالماً تقليدياً، فراح يتواصل مع الأفكار والهموم الثقافيّة الّتي انشغلت بها الأمّة العربيّة والإسلاميّة آنذاك، وفي ظلّ هذه الأجواء، نظم الشّعر مبكراً، ولعلّ أوّل تجربة شعريّة له خاضها عندما كان في سنّ العاشرة، إذ ألّف قصيدةً جاء فيها:

فمن كان في نظم القريض مفاخراً
ففخري
طرّاً بالعلى والفضائل

وكان أوّل الأساتذة الّذين تتلمذ على أيديهم، والده المغفور له المقدّس السيّد عبد الرؤوف فضل الله(قده)، ثم على الشيخ مجتبى اللنكراني. وانتقل بعد ذلك إلى دراسة ما يسمّى بالبحث الخارج.

وكان تتلمذ في تلك المرحلة على يد مراجعها، أمثال المرجع الديني الكبير السيّد أبو القاسم

الخوئي(قده)، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد محمود الشاهرودي، والشيخ حسين الحلّي (رضي الله عنهم)، وهؤلاء جميعاً من الشخصيّات العلميّة الكبيرة في النّجف الأشرف، والتي تخرّج على أيديهم الكثير من العلماء الأفاضل.

أساتذته

قد عرفت أنَّ السيِّد تلقَّى دروسه العالية (البحث الخارج) على يد الكبار من علماء النّجف ومراجعها آنذاك؛ وهم:
1 ـ السيّد أبو القاسم الخوئي(قده)، 2 ـ السيد محسن الحكيم (قده)،
3 ـ السيّد محمود الشاهرودي (قده)، 4 ـ الشيخ حسين الحلي(قده) ،
5 ـ الملا صدرا القفقازي، المعروف بالشيخ صدرا البادكوبي، 6 ـ والده السيّد عبد الرّؤوف فضل الله(قده)،7 ـ عمّه السيد محمد سعيد فضل الله(قده) ؛

حركته الأدبيّة والعلميّة

تعاون السيّد مع الشّهيد المغفور له السيّد محمد مهدي الحكيم، ابن المرجع الديني السيّد محسن الحكيم(قده)، فأصدرا مجلّةً خطيّةً باسم: "الأدب"، وكان السيّد في سنّ العاشرة أو الحادية عشرة؛ عندما أصدرت جماعة العلماء في النجف الأشرف مجلة "الأضواء" سنة 1380 هجرية؛ وهي مجلة ثقافية إسلامية ملتزمة، كان سماحته أحد المشرفين عليها، وكان يكتب الافتتاحية الثانية بعنوان "كلمتنا"، وقد جمعت فيما بعد في كتاب تحت اسم "قضايانا على ضوء الإسلام"، وكان يكتب الافتتاحية الأولى الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، تحت عنوان "رسالتنا" .

عودته إلى لبنان

بعد أن نهل السيّد من المناهل العذبة والمنابع الصافية على يد أساتذة النجف، نحو اثنتين وعشرين سنة، حيث أنهى دراسته سنة 1385 هجرية، عاد إلى لبنان بعد أن كان قد زاره في سنة (1953ميلادية)، وصادف حينها ذكرى أربعين وفاة السيّد محسن الأمين، فشارك في الذّكرى بقصيدة رثى فيها العلاّمة الأمين، لكنّها لم تكن قصيدة رثاء تقليديَّة، حيث قالت عنها الصّحف اللّبنانيَّة آنذاك إنَّها أثارت المشاعر...

النّشاط الاجتماعي للسيّد

إضافةً إلى النشاط العلميّ الّذي دأب عليه منذ عودته من

النّجف الأشرف، ركّز السيّد اهتمامه على النّاس المستضعفين، فعاش آلامهم وهمومهم، وبذل جهوداً استثنائيّةً لمعالجة مشاكلهم في مختلف المجالات.. فصبّ اهتمامه الكبير، وبمعونة الخيّرين، على تأسيس مشاريع وبناء مؤسّسات تحتضن الأيتام وأبناء الشّهداء والفقراء والمعاقين.

النّشاط الفكريّ والسياسيّ

انفتح سماحة السيّد على ثقافة العصر، ورسم لشخصيّته ملامح خاصّة تفرّد بها عن أقرانه، فكان صاحب عقل حواريّ منفتح تأسّس على قاعدة فكريّة غنيّة؛ وصقلته التّجارب المتنوّعة، ما جعله يدرك ومنذ البداية، أهميّة تقديم الطّرح الإسلاميّ، وبالصّورة التي تتناسب والتطوّرات الفكريّة والتنظيميّة التي يشهدها الواقع، وخصوصاً بعدما فقد التّبليغ الدّينيّ دوره في التأثير، وصارت الأفكار والتيّارات الأخرى مصدر الاستقطاب الأساسي للشبيبة الإسلاميّة.

وانشغل سماحته بمحاربة الجهل والتخلّف، فجعل من المسجد منطلقاً لكل عمل جاد؛ حيث تحوّل مسجده في بئر العبد، ومن ثم في حارة حريك، إلى مدرسة تنشر المعرفة والأخلاق، وتستنفر الهمم والطّاقات، من خطب الجمعة، إلى دروس الأخلاق والتّفسير، ووزّع نشاطه على الجامعات والمؤسّسات التربوية والمنتديات الثقافية، مربّياً ومعلّماً ومحاوراً. وفي هذا السّبيل، سخّر إمكاناته لتعميم الوعي ونشر الثّقافة الإسلاميّة.

لقد حمل سماحته ـ ومن موقعه المرجعيّ ـ همَّ إعادة الإسلام إلى الحياة، فشارك في إطار هذا التوجّه في تأسيس الحركة الإسلاميّة في العراق، إلى جانب الشهيد السيد محمد باقر الصدر(قده)، وكانا يخطّطان معاً لولادة حركة إسلاميّة في الواقع الإسلاميّ الشيعيّ. وقد ركّز جهوده فيما بعد ذلك، ومنذ أواخر السبعينات، لإنجاح تجربة الجمهوريَّة الإسلاميَّة في إيران، ودعمها دعماً مستمرّاً؛ إضافةً إلى أنّه تولّى الدّفاع عن الأطروحة الإسلاميّة في كلّ المحافل والمنابر، خطيباً ومحاوراً ومحاضراً وكاتباً وداعياً إلى جهاد المحتلّين الصّهاينة، ما أقلق القوى المعادية، ودفعها إلى القيام بالعديد من محاولات اغتيال نفّذتها أجهزة استخبارات محليّة وإقليميّة ودوليّة؛ وقد كان أكثرها دمويّةً، تلك الّتي قامت بها

المخابرات المركزيّة الأميركيّة، حسب اعتراف مديرها آنذاك "وليام كايسي"، والذي ورد اسمه في كتاب مذكّراته الشهير "الحجاب"، حيث تمّ تفجير سيّارة مفخّخة أثناء وصول سماحته إلى منزله في بئر العبد، ما أدّى إلى سقوط ما يقرب من ثمانين شهيداً ومائتي جريح، وقد نجا يومها (ره) بأعجوبة...

أدرك سماحة السيّد، ومنذ وقت مبكر، الأهميّة المركزيّة للقضيّة الفلسطينيّة بالنّسبة إلى الوضع الإسلاميّ العام، واعتبر الغزو الصّهيونيّ لفلسطين مقدّمةً لغزو بلاد العرب والمسلمين، وهو لم يكلّ عن دقّ جرس الإنذار لتستيقظ الأمّة وتستنفر هممها، محتضناً بشجاعة جهاد المقاومين، ولا سيّما جهاد المقاومة الإسلاميّة في جنوب لبنان ضدّ الغزو والاحتلال الصّهيونيّ، ومدافعاً عن حقوق الفلسطينيّين في وطنهم فلسطين...

وقد حرص سماحته على تركيز النّشاط المتعدّد الجوانب على قاعدة صلبة، وهنا انصبّت جهوده على بناء المؤسّسات التّعليميّة والرّساليّة والإعلاميّة والحوزويّة، فأسّس العديد من المدارس العلميّة والدّينيّة والمهنيّة والعباديّة، إضافةً إلى عدد من الحوزات الدّينيّة في لبنان والشام.

مؤلّفاته المختلفة ونتاجه الفقهيّ

يمكن تقسيم مؤلّفاته إلى قسمين؛ القسم الأوّل: المؤلّفات العامّة، والقسم الثّاني: المؤلّفات الخاصّة، وهي المؤلّفات الفقهيّة والاستدلاليّة، التي كان يلقيها على طلاب العلم في بيروت في محلّ إقامته، في حارة حريك، وفي الشّام في حوزة المرتضى(ع) أيضاً في السيدة زينب(ع).